المبحث الأول: اللغة والأسلوب

اللغة في الشعر هي الشكل الذي يتخذه الشعراء وسيلة لنقل أفكارهم إلى الآخرين، وهي الإطار الذي توضع فيه مضامين الشعر.

"اللغة وسيلة من وسائل التعبير عن الأفكار والمشاعر والمقاصد، وعامل مهم من عوامل الحياة الفكرية والقومية...، بها يتواصل الناس ويتفاهمون في الجيل الواحد، وبها ينقلون حضارتهم وخصائصهم القومية من جيل إلى جيل".[1]

صلاح أحمد إبراهيم شاعر حديث تواكبت لغته الشعرية مع روح عصره، فحملت مضامين شعره بدقة. وهو من الشعراء الذين تأثروا بالمذاهب والتيارات الفكرية والأدبية الغربية، فخرجوا عن القوالب الشعرية المألوفة في الشعر العربي، فتميزوا وخرجوا باللغة من" طور التحجر والجمود إلى طور المطاوعة والتطور."[2] وهذا الخروج هو سمة تضفي على الشعر روح عصره.

وتتسم اللغة الشعرية لصلاح أحمد إبراهيم بانتسابها إلى محاور تنحصر في:

1. السهولة
2. الأسلوب الإنشائي
3. الاقتباس الديني

1. السهولة في لغته الشعرية:

---

[1] طليمات_ غازي (دكتور) _ عرفان الأشقر _ الأدب الجاهلي_دار الإرشاد _حمص،سوريا_ط1،بت_ص11

[2] العزب_ محمد أحمد (دكتور) _ ظواهر التمرد الفني في الشعر المعاصر_ دار المعارف _القاهرة ،مصر _بط _1978م_ص124

الناظر إلى شعر صلاح أحمد إبراهيم من خلال دواوينه - موضوع الدراسة- يلحظ بساطة وقرب من متلقيه، ومن ميزات الشعراء أن "لا يعاظل أحدهم في الكلام"[1] و"السهولة أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة، تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الأدب، وهي تدل على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الرؤية"[2] ، وهكذا كان صلاح في تعبيره عن موضوعاته لايتكلف اللغة بل يختار ما لايشق على المتلقي في كشف معانيه من أول وهلة، وهو يسلك أقرب الطرق وأسهل الكلام وأوضح المعاني للسامع، ومثال ذلك في شعره السياسي تناوله حادثة قصر الضيافة بعد إنقلاب عام 1971م[3]، فلم يلجأ إلى مفردات معجمية للتعبير عن أساه على المذبحة، التي يعتبرها موت للوطن ولضمير الشعب، محاولاً أن يواسي الأرض حتى لايصيبها اليأس والقنوط، فعنوان قصيدته (في أعقاب الفتنة)، وقال فيه:

على جَبينك الوَهَجْ
حُمّى ، وأخْدُودُ هُمُومٍ، ورَهَجْ
تَشَجّعي!
أنْتِ متعَثِّرَ جّعي!
****
طُوفي على القُبور حيَ أهلها تَسَمّعي ..
لَرُبّ نبض لايزالُ في القلبِ الذي غَضّ وعَجْ ، بحبّه الكبير
وحين ماتَ ... إخْتَلجْ بحبّه الكبير
قلبٌ قويٌ ادّكِيه علّهُ يَضِجْ
ثانيةً بمثلِ ما كان عليه من محبّةٍ وخَيرْ

---

[1] الجمحي_ محمد بن سلام_ طبقات فحول الشعراء_ قرأه وشرحه محمود محمد شاكر_ دار المدني_ جدة، السعودية_ د.ط_ 1974م_ص63

[2] الحموي _علي تقي الدين أبي بكر _خزانة الأدب_ العامرة_ مصر_د.ط_ 1291ه _ص554

[3] انقلاب قام به الرائد هاشم العطا ولكنه لم يدم غير ثلاثة أيام ثم قام الفريق جعفر محمد نميري ثم قام بإعدامه هو ورفاقه في محاكمة صورية بقصر الضيافة.

أو فاجْعَلي قبراً له بين حَنايا الأضْلُعِ .
تَسَمّعي! [1]
لَرَبّ نأمة* من هامة صادية
أو نَفَسٍ مُسْتوحشٍ أخيرْ
ضوّعَ في جوانب الحياةِ بالأرَجْ ، حينَ خرجْ
لرُبّ فجرٍ في الدّياجرِ انْبَلَجْ بين الأذرُعَتَجَعّي! [2]

فالشاعر على طول النص لم يستخدم لفظاً يُلجئ القارئ لقواميس اللغة بحثاً عن المدلول، وكان عرضه واضحاً من خلال ألفاظه الواضحة السهلة، والمتأمل في النص يلحظ هذه السهولة من خلال قدرة الألفاظ على إبراز المضمون، فشعره " شعر سمح يأتي دون كد"[3] وبث فيه الأمل وروح الثورة والنضال وعبر عن كل ذلك بكلمات سهلة خالية من التكلف، قال :

الشمسُ الضّحوكُ في السماءِ باديةْ
فاسْتَقبِليها لَوّحي بالزّهراتِ النّادية
تَشَرّبي من ضوْئها: الشّقوقُ كالجروحِ
تأهّبي للخصبِ والنّماءْ
والقبرُ في العراءْ ، كَهَوْدج في الرّيحِ
كَوَجهِ طفلٍ غائرٍ ، يبكي بِغيرِ أدمُعِ ، تَشَجّعي!
مُدّي يديكِ للشّفقْ
قولي لهُ : إني أشُمّ من عُشبِ غدٍ (دعاش)
وأنظُرُ البرقَ بَرَقْ
أرضَعتِ أبناءَكِ يا أم البنينِ من قَبْلُ ، فهيا أرْضِعي

---

[1] إبراهيم _صلاح أحمد_ غابة الأبنوس(ديوان شعر)_ أبنوس للنشر _الخرطوم، السودان_ط3 ، 2013م_ ص72

[2] صلاح أحمد إبراهيم _ غابة الأبنوس _ص72 ، 73

[3] الرباعي _ ربى عبد القادر_ المعنى الشعري وجماليات التلقي_ دار جرير للطباعة والتوزيع _ عمان، الأردن _ ط1 _ 2000م_ص68

أرضِ عي![1]

فالفاظ هذا الجزء تحمل في طياتها إيحاء المستقبل المتصل بخير مأمول تمثل إرهاصه في ضحك الشمس وندى الزهرات وبروق البرق، ولما دعا الأرض_ أهل الأرض_ للثورة قال: (تأهبي)، (تشجعي)، واللفظان دعوة للاستعداد والاقدام وكلاهما مطلوب من الثوار لنجاح الثورة. ثم أن الألفاظ على عمق دلالتها الظاهرة والباطنة مألوفة ليست من غريب اللغة أو وعرها، فبدت سهلة المأخذ جزلة المعاني بينة المقصد و " المعنى المفضل هو المعنى القريب"[2] الذي يتلذذ به السامع لقرب مدلوله وسهولة فهمه.

وفي قصيدته(تلك الليلة من يناير) التي تناول فيها مقتل (باتر يس لومومبا)، فقد وصف تلك الحادثة بلغة دقيقة، والقائد يساق إلى مقتله فتصوره يسير مرفوع الرأس، يتقدم إلي الهيكل وكأنه يقدم نفسه قرباناً للآلهة، وهو لا يبالي في بذل نفسه رخيصة من أجل وطنه ، فهو يقول:

في تلك الليلة من يناير سيق القائد للمذبح
ودماه على درجات الهيكل صارت تجري، صارت تقدح
شرراً ، تتصاعد في تاريخ القرن العشرين النيران
منه، كان القربان
البشري يقدم للصنم الجوعان
معصوب العين، معرى الصدر، تدفّره رجل السجان
كفاه وراء الظهر التفّ عليها القيد كما يلتف على السمك السرطان
وتقدم يمشي معتداً ، تحسبه يخطب في الآلاف، وتحسبه سلطان
في موكب نصرٍ يخطر كأوز النيل، حواليه العبدان
مرفوع الأنف، يُقبّل سيف الحق، يصلصل في زرد الإيمان

---

[1] غابة الأبنوس ص 74 ، 75

[2] ربى عبد القادر الرباعي _ المعنى الشعري وجماليات التلقي_ ص74

يتلمظ طعم نضال، مر كالملح، كما عَرَقٌ سال بطرف لسان -[1]

الزارع وهو يقول: غداً أرحام الأرض ستجزينا

وستوهب أضعاف من كان وهب[2]

استخدم الشاعر في هذه القصيدة لغة واضحة، سهلة توضح معاني الثبات على المبدأ عند الموت في سبيل الوطن والشعب، فحملت كلماته معانٍ نبيلة نبل لايستطيعه إلا الشجعان المخلصين لأوطانهم، كما تميزت ألفاظه بالجزالة والموسقة إضافة إلى أنها منتقاة بدقة.

وفي قصيدته (قتل وقتل) المنظومة عقب إعدام (محمود محمد طه) [3] وقد تميزت ألفاظ القصيدة بنبرة استهجان للفعل، وعند نظمها كان الشاعر على خلاف سياسي مع الرئيس وتقديم الشاعر استقالته عن العمل كسفير للسودان[4]، ومعاداته للرئيس والمواقف السياسية للحكومة، وهو ما جعله يمجد من أُعدم ويتهم الحاكم بالظالم، ربما لما بينهما وليس لما حدث يقول:

باسم الله .. وباسم الشعب.. وباسم الدولة

باسم شرائع دينية، أو وضعية

باسم الثورة .. واسم قضية

مظلوم يقتله ظالم

والظالم يقتله مظلوم

وبريء يقتله المظلوم أو الظالم

---

[1]صلاح أحمد إبراهيم _ غضبة الهبباي _ص103 ،104

[2]صلاح أحمد إبراهيم _ غضبة الهبباي _ص103 ،104

[3]محمود محمد طه مفكر و مؤلف و سياسي سوداني ، أسس مع آخرين الحزب الجمهوري السوداني عام 1945م كحزب سياسي يدعو لإستقلال السودان والنظام الجمهوري وفي أكتوبر 1951م أعلن مجموعة من الأفكار الدينية و السياسية سمى مجموعها بالفكرة الجمهورية. أخذ عليه الكثير من العلماء ورماه بعضهم بالردة عن الإسلام و حوكم بها مرتين أعدم في أخراهما في يناير 1985م في أواخر عهد الرئيس جعفر نميري عُرف بين أتباعه ومحبيه بلقب (الأستاذ)

[4]قدم استقالته من منصبه كسفير للسودان بدولة الجزائر، احتجاجاً على اعتقال سلطات مايو لشقيقته (فاطمة) التي كانت على رأس مظاهرة نسوية سياسية بالخرطوم، كما أعتقل معها أفراد أسرته بأمدرمان.

لايعرف فيم يساق وما التهمة
وينال الكاتب والعالم[1]
جائزة الإنسانية
من فائض أرباح الديناميت[2]

افتتح الشاعر قصيدته بألفاظ البسملة التي كان يرددها الرئيس الأسبق جعفر نميري في افتتاحية خُطبه، وفيها يشير الشاعر لمرتكب الجريمة ذلك الذي أجاز اعدام محمود محمد طه، ثم تحدث عن أن الحياة صارت غابة السطوة فيها للأقوى، فلا قوانين ولاشرائع تحكم القتل، واستخدم الشاعر ألفاظاً تناسب المعنى وسهلة الإدراك بالنسبة للمتلقي، فهي بذلك لغة متفردة.

ثم يتجه إلى تعظيم المحكوم عليه فيجعل منه مثالاً أعلى منزهاً عال ألصق به مستحقراً كل مؤيد للحكم، بقوله:

ساقوا للموت نبيا لا زاني
ساقوه، تنادى القاصي والداني
وتجمع للرجم السفهاء
الحجر الأول والثاني
والثالث من أيدي الغرباء
فيجيش بعطف رباني، وهو يعاني
جهلاء فأصفح عنهم يا أبتاه
كفوا عني يا إخواني
كفوا عني آهٍ .. آه
ويموت ولم تكمل شفتاه
وتصفق للملك الجائر

---

[1] إبراهيم _صلاح أحمد_ نحن والردى(ديوان شعر) _الظفرة للطباعة والنشر _أبوظبي، الإمارات _ط2000،1م ،ص108
[2] نحن والردى ،ص108

أيدٍ ر َجمت رأس الثائر، أيدي الغوغاء
أيدي الجوعى، أيدي التعساء[1]

نلحظ أنه استخدم ألفاظاً دقيقة ذات دلالات بينة، أعلى من شأن المحكوم عليه فصيره نبياً، مع علمنا وعلم الشاعر أن ليس هنالك نبياً بعد الرسول ﷺ، فهو أطلق اللفظ إبان خلافه مع الحكومة كما اسلفنا، و استنكاره تجمع الناس لشهود الحادثة كما يحدث في الرجم الشرعي والناظر لعباراته يرى الاستحقار في: السفهاء، الغوغاء، جهلاء، التعساء، وهي كلمات تحمل ما يريد أن يوصله من معانٍ يرسلها لمن يتبعون الرئيس _عدوه_.

2. العامية في شعر صلاح:

وردت في شعر صلاح أحمد إبراهيم بعض ألفاظ العامية السودانية، متناثرة على سطوح من الفصاحة، علماً بأن العامية السودانية جد قريبة من الفصحى، ولا نظن أنه قد استخدمها عجزاً عن الإتيان ببدائلها من الفصحى، بل ربما استعملها لتقريب المعاني، والجدير بالذكر أنه لم يكن موغلاً في استخدام العامية، ومن المواضع التي أدخل فيها العامية قصيدته(صلوات) حيث يقول:

الريح تقاومه، الليل يساومه، والصخر تربص بالحيات
وتمائمه: حب للشعب وا يمان وثبات
يا زرعالًبـ ّن حين جميع الأرض موات[2]

والشاهد هنا في كلمة لبـ ّن: وتستخدم في العامية السودانية تعبيراً عن "المراحل الأخيرة في نمو الذرةصيبح بعدها فَر ِيك ثم يحصد"[3] وهو شكل السنبلة عندما تكبر حبوبها ويصير

---

[1] نفسه، ص111

[2] غضبة الهبباي _ ص 102

[3] قاسم _عون الشريف(دكتور) _قاموس اللهجة العامية في السودان_المكتب المصري الحديث_ط2_1985م_ص1032

فيها مايشبه اللبن، والشاعر هنا أراد أن يقول: أن لوممبا كان أمل شعبه في حياة ملؤها الكرامة والعدل، وهو قد اجتاز مراحل النضال الأولى وأوشك على النجاح، ومن ثم شبهه بالزرع، والكلمة هنا لم تضربلغة النص بل منحته بعداً جمالياً اضافياً، مع ملاحظة أن معناها في العامية السودانية لايبعد كثيراً عن معناها المعجمي.

ثم في قصيدته السياسية(تلك الليلة من يناير) يقول :

البشري يقدم للصنم الجوعان
معصوب العين،تدفّره رجل السجان [1]

الشاهد في كلمة "(تدفّره: دفعه في صدره)" [2] فهي العامية السودانية بمعنى تدفعه وليس فيها إخلال ٌ بلغة النص.

وفي القصيدة نفسها يصف عنف ودوام اطلاق الرصاص فلا يجد في أذنه صوتاً يمثل الحدث سوى اللفظ العامي فيقول :

ويغالب كل الناس يصيح : الجند لقيزنقا
وينق بأذن إله الحرية[3]

الشاهد في كلمة نقّ : بمعنى أكثر الشكوى وردد الكلام . وهو نقّاق والعملية نقة... ولعلها من نقّ الضفدع (صدَ وّت)" [4] فهو أخذ الكلمة من باب الترديد والإطالة وتكرار الصوت حتى يصف لنا كيف استمر إطلاق الرصاص على لوممبا، فإذا رددناها إلى أصلها نجد أنها فصيحة ولاضير في استخدامها. بالرغم من إيغالها في العامية السودانية.

---

[1] غضبة الهبباي ص103

[2] عون الشريف قاسم _ قاموس اللهجة العامية في السودان_ص386

[3] غضبة الهبباي ص105

[4] عون الشريف قاسم _ قاموس اللهجة العامية في السودان_ص1148

ويشتد تأثر الشاعر بإعدام لوممبا، فيستشعر في نفسه_ من شدة حزنه_ أنه كان عليه أن يقف معه ضد عدوه قبل أن يقضى عليه ولما كان لوممبا قد أعدم وسبق السيف العذل؛ لم يجد الشاعر شيئاً غير الندم والألم وتأنيب الضمير على ما حدث فيقول:

و دمٌ في تلك الليلة من يناير
رشّ سريري
تشّ ضميري [1]

الشاهد في قوله (تشّ بالنار: أحرق بهاولعلّ اللفظة من الصوت الذي تحدثه النار عندما تلامس جسداً طرياً.. وهي من طشّت السماء : أمطرت) [2] فهي دلالة الإحتراق الذي يتولد عنه الألم، والشاعر وجدها مناسبة لهذه الحالة.

واستخدام العامية عند صلاح يناسب جو النص ولا يخل به، وهو أمرٌ قديم في الأدب العربي، اعتذر الجاحظ عن استخدامه لفظة غير معربة قائلاً:" وإن وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب، ولفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا أنا إنما تركنا ذلك لأن الإعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حده"[3]وبالنظر إلى كلام الجاحظ نجد أن استخدام ما يخدم الغرض من العامية ليس عيباً ينقص من جمالية الأدب، ولا نرى لصلاح عذراً غير عذر الجاحظ، وهو يعلم ما فعله مما جعله يحترس بقوله :"(قد يكشر في وجهي أحبار اللغة ونقدة الشعر، لا لأنني كسرت عمود الشعر... بل لأنني لم أتحفظ في استعمال كلمات يشبّه لهم علمهم الجاهل أنها لاتمت إلى الفصاحة أو الجزالة... وأنا فخور بعيبي، فعلينا أن نستفيد من عبقرية التناول

---

[1] غضبة الهبباي - ص105

[2] عون الشريف قاسم _ قاموس اللهجة العامية في السودان_ص166

[3] الجاحظ_ البخلاء_ دار صادر _ بيروت، لبنان _ط1، 1963م_ ص61

الشعبي الخلاق للغة دون أن ننسف كيانها)."[1] وهذا هو دفاعه عن استخدامه للعامية، ففيها في رأيه عبقرية التناول الشعبي الخلاق، وهي ذات فائدة.

كثير من النقاد وقفوا عند قضية استخدام العامية معارضين لها، ومن هؤلاء في السودان صلاح المليك يقول:"(فالذي يحشر في كلامه لفظة عامية ، يفعل ذلك لعجز ه عن التعبير بلفظة فصيحة تؤدي المعنى)"[2] وصلاح أحمد إبراهيم لاحتراسه السابق لايدخل ضمن من صنفهم المليك.

كما أن مقالة المليك_ في هذا العصر_ تعتبر أمراً صعباً، فالعبرة ليست بالكلمة العامية من ناحية بنيتها، وا ٍنما وظيفتها في النص، وقد استخدم صلاح كلمات عامية لكن" لكل من هذه الكلمات مدلولها الذي تعبر عنه"[3]وليس لعجز في لغته وا ٍنما لضرورة اقتضت ذلك. "أما أن نتحدث عن الأدب الفصيح ونقبل فيه الألفاظ والتعابير العامية دون اضطرار، فهذا لعمري جهل لما نحن صانعون وخلط ٌ مردود"[4] فاستخدام العامية دون ضرورة يصبح حشواً يخل بروح الشعر وجماله، ومع ذلك فشعراء العربية من معاصري صلاح أحمد إبراهيم في مختلف دول العالم العربي جلهم تأثر بالشاعر الإنجليزي توماس اليوت وكان لايرى للشعر لغة خاصة، بل يستعمل مفردات من الحياة اليومية، وممن أعجب به في مصر صلاح عبد الصبور الذي ذهب "إلى امكان الاستفادة من الألفاظ العامية ذات الأصل الفصيح"[5]، ولا نستبعد أن يكون صلاح أحمد إبراهيم ممن أعجب باليوت أوبصلاح عبد الصبور[6].

3. أسلوب الإنشاء في شعر صلاح:

---

[1] غضبة الهبباي ص11

[2] المليك – صلاح الدين (دكتور)_ فصول في الأدب والنقد_مطبعة التمدن _ ط1 ، 1978م _ص73

[3] عباس _إحسان (دكتور)_اتجاهات الشعر العربي المعاصر _المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب _الكويت _بط ، 1978م، ص140

[4] الأمين_ عزالدين (دكتور)_ نظرية الفن المتجدد_ مطبعة وهبة_ القاهرة، مصر_ط1 ،1964م_ص40

[5] مقال بعنوان: الشعر ولغة الحياة اليومية، نشر بجريدة الرياض_ العدد16462 _ 20/يوليو/2013م

[6] صلاح عبد الصبور: أحد أهم رواد حركة الشعر الحر العربي ومن رموز الحداثة العربية المتأثرة بالفكر الغربي

"الإنشاء لغة: الإيجاد، واصطلاحا: ما لايحتمل الصدق والكذب لذاته"[1] وهو الاسلوب غير المباشر، و أحيانا يسمى باللغة الصحفية، فهو يستخدم في عرض الخبر بصورة غير مباشرة ، وبذلك يبتعد الشعراء عن اللغة التقريرية التي تتسم بالمباشرة في عرض الحقائق.

وشاعرنا من الذين يستخدمون الأسلوب الإنشائي كثيراً في شعرهم، لضرورة يراها الشاعر في استخدامه، وفي مواضع كثيرة يعرض الحقائق من خلال هذا الأسلوب الإنشائي، ففي قصيدته السياسية (عشرون دستة) وقد نظمها عقب امتناع مزراعي (جودة) في العام 1965م تسليم القطن للسلطات حتى يتأكدوا من أسعار القطن، فزجت بهم السلطات في غرفة ضيقة وكان عددهم مائتانفماتوا جميعاً ، عبر الشاعر قائلاً :

لو أنّهم... حزمةُ جرجيرٍ يُعدّ كي يُباعْ
لِخَدَمِ الإفرنجْ في المدينة الكبيرة
ما سَلَخَتْ بشْرَتَهم أشعّةُ الظهيرة
وبانَ فيها الإصرارُ والذبول
بل وُضِعوا بحَذَرٍ في الظّل في حَصيرة
وبلّلت شِفاهَهُم رشّاشةٌ صغيرة
وقبّلتهمْ هُمءٍ رُطوبةُ الإذْداء
والبهجةُ النّضيرة[2]

لقد استخدم الشاعر(لو) وهي للتمني (التمني هو: طلب أمر محبوب لايرجى حصوله، لسبب من أثنين إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً غير مطموح في نيله) [3] ولكن الشاعر هنا في استخدامه لها يريد الإخبار عن الحالة التي كان عليها المزراعين في داخل تلك

---

[1] الهاشمي_ السيد أحمد _ جواهر البلاغة _ المكتبة العصرية_ صيدا. لبنان_ط2 ، 1999م _ ص69

[2] غابة الأبنوس ص39

[3] قاسم – محمد أحمد(الدكتور)- ودكتور محي الدين ديب- علوم البلاغة- المؤسسة الحديثة للكتاب- طرابلس، لبنان، ط1- 2003م-ص303

الحجرة الضيقة، فلقد ضاقت بهم لكثرة عددهم ، فهم على هذه كأنهم حزمة جرجير، فالجملة في ظاهرها التمني ولكنه أراد الإخبار عنهم.

لقد تكرر استخدام الشاعر ل(لو) للإفادة بخبر ما لاقاه المزراعون من جراء رفضهم لتسليم القطن للسطات، فيقول:

لو أنّهم ... ماتُركُوا ظِماء
ماتُركُوا يُصادمون بعضَهم لنَفَسِ الهواءْ
وهم يُجَرْجرون فوق جثثِ الصّحَابِ الخُطْوَةَ العَشواءْ
والعَرَق المُنتن والصراخَ الإعياء
ما تُركُوا جِياع
ثلاثةً تابِعْ
في كتمةِ الأنفاسِ في مرارةِ الأوجاعْ
لو أنّهم ...لكنّهم رعاع[1]

هنا يتبين لنا الغرض من استخدام التمني فبجانب الإخبار غير المباشر أيضاً نستشف نبرة الحزن والاستنكار لهذا الفعل الشنيع الذي قامت به السلطات، ف"الشعر فنٌ إنساني يقال بدوافع إنسانية"[2]

ثم نجده يستخدم الاستفهام في قصيدته (دماء في الخرطوم) يقول:

بالله يانجوم كيف حال إخوتي
وكيف حال رفقتي، وكيف حال شعبيَ العظيم
شعبي الذي أحببته حبّ الذي قد عشقا

---

[1] غابة الأبنوس _ص 40

[2] ربى عبدالقادر الرباعي _ المعنى الشعري وجماليات التلقي_ ص213

كيف تراه الآن، هل تراه بات جفنه مؤرقا
وهل تراه بات حبل شمله ممزقاً
وهل تراه بات في السجن ألقوا ومرهقا
وهل تراه واجه النيران مثل يوم (كرري) فاحترقا[1]

لقد استخدم الشاعر أداتي الاستفهام (كيف:"يطلب بها تعيين الحال"[2]) و (هل: "يطلب بها التصديق فقط أي معرفة وقوع النسبة أو عدم وقوعها"[3])، ففي البيت الأول جاءت (كيف) في معناها الحقيقي، ولكن في قوله (كيف تراه الآن) لم تستخدم للسؤال عن الحال، إنما خرجت عن مقتضى الظاهر، فهو يريد بذلك التعجب من الفعل الذي وقع عليهم والفتك الذي أصابهم، وفي أخريات النص استخدم أداة الاستفهام (هل) ليخبرنا بأن كل هذه الأشياء قد وقعت ولكنه لم يرد أن يصرح فعمد إلى الإنشاء لكشف هذه الحادثة.

ثم في قصيدته التي عنونها ب(كلمات...وكلمات) يتمنى الشاعر أن يكون سلاحاً أو بحار لهب يدافع ويعين المناضلين في الكنغو على عدوهم مستخدماً (لو) يقول:

لو أن الشعرِ يطيرُ شواظ لهب
لمضيت أقول الشـِ عر،أقولإلى أن تفنيني الكلمات
لو أن القلب يسيل بحار لهب[4]
لعصرت القلب، عصرت إلى أن يفلت من كفي قطرات
لو أن الزفرة تصعد ريح لهب
لضغطت على رئتي ّ ، ضغطت إلى أن ألفظ أنفاسي زفرات
ولصرت حطب[1]

---

[1] غضبة الهبباي ص39 ، 40
[2] السيد أحمد الهاشمي_ جواهر البلاغة _ص82
[3] نفسه __ ص79
[4] غضبة الهبباي ص93

إن استخدام (لو) هنا تفيد تمني شيء لايرجى حدوثه مثل أن يكون (الشعر شواظ) أو أن يكون (القلب بحار لهب) أو أن تصير (الأنفاس رياح لهب)، فهي أمور يستحيل حدوثها، ولا يريد الشاعر إلاّ أن يبين رغبته في مناصرة لوممبا على من إغتالوه غدراً، كما يتحسر على عجزه عن هذه المناصرة.

ويستخدم أداتي الاستفهام مـَن ْ :"ويطلب بها تعيين العقلاء"[2] والهمزة: ويطلب بها أحد أمرين: تصور أو تصديق"[3]، واداة النداء(وا) في القصيدة ذاتها قائلاً:

مـَن ْ هذا الصارخ عبر وحوش الغاب
مـَن ْ غير صريخ : واغوثا.. أنجد.. أنجد
الطارق باب بلادي يستنجد
أمروءتنا تستنفر يا هذا؟ أبعد.. أبعد مت مغتبطاً
قررنا أن ننعاك بإذن الله غداً [4]

ويظهر الأسلوب الإنشائي هنا في الاستفهام(مـَن ْ ، الهمزة) إلى جانب أداة الندبة (وا)، وعلة استخدامه أياها التعظيم لمن طلب الغوث، أما (الهمزة) فهو يريد من استخدامها الاستنكار في عدم الاستجابة للمستغيث، والتنكر لقيم الإنسانية.

ثم في قصيدته (بين النيل والكنغو)، يستخدم (مـَن ْ) ليس من باب الإستفهام ولا الإخبار إنما من باب التعظيم كما في قوله:

مـَن ْ ذا الذي يشرب في موردة الأسود[5]

---

[1] غضبة الهبباي ص93

[2] السيد أحمد الهاشمي_ جواهر البلاغة _ص82

[3] نفسه_ ص78

[4] غضبة الهبباي- ص94

[5] غضبة الهبباي _ص 100

فهو يريد تعظيم شأن مناضل الكنغو لوممبا، فليس غيره أحد يستطيع أن يفعل كل هذه الأشياء.

وفي قصيدته (صلوات) يتحسر على لوممبا قائلاً:

لوممبا عِشْ ، لكن هيهات
لم نسمع غير صدى صرخات
تتمزق نازفة، فالقائد وا أسفاً قد مات[1]

في السطر الشعري الأول نجد أسلوب الإنشاء في فعل الأمر (عِشْ) فهو يتمنى أن يعيش لوممبا ولا سبيل (هيهات)، ثم يقول: (وا أسفاً) فهو في الظاهر يريد الندبة والتحسر، ولكن يريد من وراء ذلك بيان خيبة الأمل التي أصابته من جراء موت لوممبا ، مثال النضال والعدالة الاجتماعية، "وكان في قتله غيلةً صدمةٌ عنيفة"[2]

وفي قصيدته (نحن والردى) استخدم صيغاً من الإنشاء، قال في أول القصيدة يستخدم النداء ب(يا) في قوله :

ياذكيّ العودِ بالمطرقةِ الصمّاءِ والفأسِ تشظى
وبنيرانٍ لها ألفُ لسانٍ قد تلظّى
ضعْ على ضوئِك في الناس اصطباراً ومآثرْ
مثلما ضوّعَ في الأهوال صبراً آلُ (ياسر) [3]
فلئن كنتَ كما أنتَ عبِقْ
فاحترق [4]

---

[1]نفسه - ص103

[2]التوم_ حسن صالح (دكتور)_ الإتجاه الإفريقي في الشعر السوداني المعاصر_سولو للطباعة والنشر_ الخرطوم،السودان_ط1، 2002م _ص287

[3]نحن والردى ص33

[4]نحن والردى ص33

فالشاعر هنا أراد من النداء هنا، هو تعظيم شأن الذين يبذلون الروح رخيصة في سبيل الوطن والشعب، ولايتوانوا فيبذلون أنفسهم .

و يستخدم (يا) في جزء آخر فيقول:

يا منايا حو ّمي حول الحمى واستعرضينا واصطفي
كل سمح النفس، بس ّامِ العشياتِ الوفي[1]

ينادي الشاعر الموت استخفافا بالحياة وزهداً فيها إن كانت قهراً وذلاً، ورغبة في الموت إن كان ينقل الناس من الذل إلى العزة والكرامة، وهذا الموت لا يموته العامة بل الأفاضل. كما أن الشاعر استخدم صيغة التمني (ليت) ليعبر بها عن التضامن مع الثورة، يقول:

ليت َ ليي ِف الجمر والنيران وقفه ْ
وأنا أشد بأشعاري لها
ليت لي في الشوكِ والأحجارِ والظُلمه زحـ ْفه
وأنا اسعى بأشواقي لها
ليت لي في زمهريرِ الموتِ رجـ ْفه
وأنا ألفظ أنفاسي لها
ليت لي من ألمٍ طاغٍ مـ َحفّـه ْ
وأنا أحمل ُ قرباناً لها.. وهدية[2]

وأداة التمني (ليت) هنا تفيد استحالة حدوث الأمر، فهو هنا يتحسر على أنه لم يكن مع الثائرين يكابد أهوال النضال ويتحسر على هذا.

---

[1] نفسه_ ص33

[2] نفسه_ ص48

أما في قصيدته الغزلة المعنونة (بسمة)، فقد استخدم الشاعر الأسلوب الإنشائي من خلال أداة النداء (يا) التي تستخدم ولكن احيانا تستخدم في غير معناها الحقيقي فقال:

يا بسمة رائعة تحمل ُ إكسير َ الحياة ْ
تطول العمر َ ، وتـُنبت ُ الز ّهور َ في الفـَلاة ْ
وتـَحمل ُ الر ّبيع َ للشتاء، والر ّحم َ ة للقـُساة ْ
يا بسمةً كأنها فكرة ُ مؤمنين عن إله ْ
حييـ ّة ً ... كأنـ ّها ع َذراء ْ
ندية ً ... نداوة َ الخريف ِ في المساء ْ
كمانقـَية ٍ..في قلبـِها يحتبس ُ الضـ ّياء ْ
يا بسمةً كأنها في ع ُشها حمامة ُ السـ ّلام ْ ..
...
يا أجمـ َل َ الأشياء
يا صافية ً كأنها غدير
...
يا بسمة ً كبسمة ِ الرضيع
...
ويا خـ ُطاها، كالزهور، كاللحون، كالقـُبل
يابسمة كنسمة رخية كأغنية
ياحلوة كنشوة تميد بي في أمسية
ياعذبة كرغبة حالمة كأمنية[1]

استخدم الشاعر اسلوب النداء بأداته (يا) التي ينادى بها البعيد، ولكنه استخدمها للقريب لسمو وبعد مكانة المنادى في نفسه، ويريد الإخبار عن مدى ماخلفته بسمتها من أثر، ويعبر عن حالته العاطفية حيالها.

[1] غابة الأبنوس_ص 77 ، 78

وهكذا يستعمل الشاعر أسلوب الإنشاء الطلبي بأنواعه المختلفة في شعره السياسي والغزلي، ولم يستخدم إنشاء غير طلبي.

4. الاقتباس الديني شعر صلاح:

"الاقتباس هو أن يضمن الشاعر كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله"[1] يأتي الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر لخدمة غرض الشاعر في تقريب المعنى بصورة لطيفة، تضفي على النص جواً من الإثارة والتشويق.

وقد اقتبس صلاح أحمد إبراهيم في شعره معاني وألفاظاً قرآنية بحكم ثقافته الدينية؛ وذلك نسبة لثقافته الدينية، وهو قادر على تخير ما يناسب من ألفاظ ومعاني القرآن الكريم؛ لخدمة قضاياه وأفكاره. قال في قصيدته (هدية حب وامتنان):

ومضيت أثبت فيها اللؤلؤ _أغلى اللؤلؤ والمرجان[2]

وهذا مقتبس من قوله تعالى تعالى:(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)[3]

فهو اقتبس المعنى الجميل في ما اعده الله لعباده في الجنة، فاستفاد من هذه الآية في وصف هديته.

ثم في قصيدته (بين المهد واللحد)، فعندما أراد أن يعبر لنا عن لغز اختفاء لومبا الذي تم اخفاؤه بعد اغتياله في قوله

أخفوا باليبس عن الإنس ترابه
في الليل الموغل خيفة عين رقيب
سر ٌ واستغلق لم يتلفت غير سؤال

---

[1]علي_ تقي الدين أبي بكر_ خزانة الأدب _ مطبعة العامرة_ مصر _د.ط_ 1291ه _ص529

[2]غابة الأبنوس ، ص55

[3]سورة الرحمن الآية 22

تذروه الريح هشيماً في الأركان ولكن قد نتخيل بعض خيال[1]

الاقتباس هنا من قوله تعالى:﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾[2]

ثم في قصيدته (فكر معي ملوال) التي عمد فيها إلى وصف العربي عنداستباحته دم إنسان الجنوب غير المسلم من أجل المال يقول فيها:

لاعاصم يقيه إلا أن يقول: لاإله إلا الله[3]

فهو يقتبس من سورة هود في قصة الطوفان فيقوله تعالى:(وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادي نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴿42﴾ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ربي وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴿43﴾[4]

فهو يشبه حالة الوثني الجنوبي بحالة ابن نوح الذي رفض الصعود مع والده على السفينة.

ثم في اقتباسه من الحديث نجده في ذات القصيدة في قصة الوثني والعربي الذي استباح دمه فهو يقول:

والوثني دمه وآله وماله حلال[5]

فهو اقتباس من حديث الرسول ﷺ في قوله : ("إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا")[1] (أخرجه البخاري ومسلم)

---

[1]غضبة الهبباي ، ص101

[2]سورة الكهف الآية 45

[3]غضبة الهبباي ، ص54

[4]سورة هود الآيات ، 42 ، 43

[5]غضبة الهبباي ، ص54

يقتبس من الحديث حرمة الدماء المسلمة، فبالرغم من أن الإسلام يكرم أهل الذمة الذين يجاورونه إلا أن هؤلاء استباحوا دمه،

مما سبق نجد أن الاقتباس في شعر صلاح، يجيء ليعبر عن فكرة أو حالة معينة، فهو بذلك لايعد حشواً مخلاً بالبنية الشعرية، إنما يضفي إليها نوعاً من الحيوية، وتقوية المعنى، مع المحافظة على بنية القصيدة وتماسكها، هة أمر جميل في التناول الخلاق للاقتباس.

نخلص مما سبق بأن صلاح أحمد إبراهيم شاعر متمكن من اللغة، بحيث يطوع ألفاظها لتخدم مبتغاه الشعري السياسي، وهو لايتكلف في شعره، كما أن له قدرة في أن يلبس كل معنى ما يناسبه من الألفاظ، " فالشاعر المطبوع ... من نظم شعراً سهلا وقريباً "[2].

---

[1]القرطبي _ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم_ حجة الوداع _ حققه أبو صهيب الكرمي_ بيت الأفكار الدولية للنشر_ الرياض، السعودي_بط 1998،م_ ص169

[2] ربى عبد القادر الرباعي _ المعنى الشعري وجماليات التلقي_ ص68